منيرة الهوزوز

نافست سليمة مراد وتغلبت على مطربات عصرها ثم انزوت في اوج تألقها

منيرة الهوزوز في اربعينيات القرن الماضي برز اسم فنانة مطربة جديدة اسمها منيرة عبد الرحمن ، ولحق باسم منيرة مفردة الهوزوز وهو طائر لا يستقر على فنن أو غصن،

جاءت في واحدة من اغانيها، وربما المعنى يشمل غير ما ذكرناه. تدرجت منيرة من ملهى لآخر حتى استقرت في ملهى الهلال في الميدان الذي نزلت فيه المطربة المصرية ام كلثوم في ثلاثينيات القرن الماضي. حصلت منيرة على شهرة واسعة وسريعة اربكت زميلاتها المطربات اللواتي سبقنها الى عالم الرقص والغناء، امتلكت منيره الهوزوز صوتاً عذباً تلعب وتدغدغ المشاعر الانسانية بشفافية رائعة فكان راحة المستمع وانس الجليس ولما التقاها الشاعر معروف الرصافي حياها بقصيدة مطلعها.

كم من مليحة صدحت وبكى من شدوها الغزل

وكانت المطربة سليمة مراد تسبقها بسنوات كونها مطربة اشهر منها، ولكن هذا لم يمنع من ان ترتبط بصداقة حميمة معها.

على ان شيئاً من التنافس الفني بدأ يذر قرنه بينهما وان كان قصب السبق دائماً يميل الى صالح منيرة الهوزوز. كانت سليمة مراد أو سليمة باشا تضع العلم العراقي على سيارتها اسوة بالملك أو رئيس الوزراء أو عبد الاله الوصي، وأحبت منيرة ان تحذو حذو صاحبتها، وما أسرع ما أصدرت الدولة الملكية امراً بعدم رفع الإعلام على سيارات المطربين والمطربات وحصرت هذا الأمر بالملك أو من ينوب عنه فقط، كما منعت حمل الألقاب من بيك وباشا وأفندي وغيرها من مخلفات الحكم العثماني الجائرة. وقد نافست منيرة جميع المطربات اللواتي كن يتواجدن في الساحة الفنية آنذاك امثال جليلة ام سامي وحورية سامي وخزنة البغدادية وبدرية انور وحتى سليمة مراد ذاتها، وكانت مطربة البلاط الملكي وقد اعجب بها كثيراً الوصي عبد الاله ، وكان التنافس الفني بين منيرة وسليمة يجري سجالاً فعندما تظهر أغنية جديدة لمنيرة سرعان ما تجد رداً من سليمة باغنية جديدة وهكذا. حتى ظهرت أغنية منيرة الجديدة والتي كانت قد منحتها الشهرة العريضة لها وكانت بعنوان ياعيني الهوزوز بيع منها أكثر من الف اسطوانة التي تحمل ماركة His Moster volce

وباتت هذه الاسطوانة المفضلة في المقاهي والمنتديات والكثير من البيوتات، ودأبت الاذاعة العراقية على بثها في اليوم الواحد عدة مرات، وحتى السينمات اثناء الاستراحة وفي الاعياد والاعراس. صارت هذه الأغنية أغنية الموسم وكل المواسم، واضحت على كل شفة ولسان يرددها الأطفال بشغف من دون ان يفقهوا لها معنى!

ورافقت الشهرة الهوزوزية دعايات تجارية مثل علك الهوزوز ، صابون الهوزوز وأرياح الهوزوز. وفي الحالة هذه أرادت الراحلة سليمة ان ترد على هذه الأغنية الصاعقة فغنت الهجر موعادة غريبة وتلتها بأغنية كلبك صخر جلمود أكثر شهرة من الأولى واتبعتها بثالثة هي هاجن جنوني. ولكن هيهات .. فلم تعد أية أغنية مهما بولغ بصياغة كلماتها والحانها وادائها الى ان تصل للمستوى الهوزوزي!!. والتقاها المؤرخ الفني الراحل عبد الكريم العلاف حيث اعجب بها كثيراً وراح يتحفها باشعاره ومنها أغنية كلما مرادي يزيد انتظر بختي ويا عيني شكد ندم وهل الربيع بوجهك ويا دهر وين العهد وفراك الحبيب ما يهون. كما اعجب بها الشاعر والصحفي المعروف الراحل الملا عبود الكرخي واهداها أغنيته المعروفه (المجرشة)، ومن المعجبين بها غيرهم كثر. وفي غمرة تربعها على عرش الغناء ومن دون سابق انذار تركت عرشها ومجدها وهي في اوج تألقها لتنزوي في بيتها.

واقفلت على نفسها الباب ووضعت على رأسها الفوطة وارتدت الملابس المتحشمة كأنها تسدل بهذا ستاراً سميكاً على الماضي الذي لم تعد تحب ذكره. وحاول المرحوم حقي الشبلي وزميله الكوميدي الراحل عبد الله العزاوي اعادتها الى سابق مجدها والناس يسألون عنها بالحاح فقالت لهما إن منيرة ماتت من زمان ولا امل بالعودة مع شكرها الجزيل لهما ولزيارتهما لها. وهكذا انفرط عقد المعجبين والسائلين عنها .

ومن اعمالها الفنية والغنائية الرائعة قصيدة للحسن بن هانئ (ابو نواس) مطلعها :

نضت عنها القميض لصب ماءٍ
فوردِ خدها فرط الحياء

ويابو البلم بالله عليك- حيرانه اركض وراك -تاليها ضاع الوفا - ذاك الولد هو الولد -رجلي هجرني وراح -ليش إبسكم ذبيتني -تجفي و تصل لعداي - ان شكوت الهوى-صاير عدوي هواي-يا نجمة في الليل و غيرها الكثير

رحم الله منيرة فقد امتنعت عن الغناء بعمر خمس واربعين احتراماً لنفسها وفنها، وامرها يذكرنا بالسيدة الفنانة الكبيرة عفيفة اسكندر فقد سلكت طريق منيرة نفسه في احترامها للنفس وللفن.

منيرة الهوزوز

سليمة مراد

أم كلثوم تحول يشارع الهرم

كوكب الشرق تأكل الشلغم والزهاوي يطبع قبلة أبوية على خدّها

بعدَ وصول السيدة أم كلثوم الى بغداد في ١٧/ ١١/ ١٩٣٧ حلّت في فندق تايكرس بالاس ثم زارت أماكن عديدة من بغداد كالعتبات المقدسة في الكاظمية وغيرها.. كما حضرت حفلاً أحيته (سليمة باشا) التي غنت لها أغنية (كلبك صخر جلمود ما حن عليه.. أنت بطرب وبكيف والبيه بيه..) فطلبت من مؤلفها الشاعر عبدالكريم العلاف تغيير كلمة (البيه بيه).. وأقام لها أدباء العراق ومفكروه حفل تكريم خاصاً حضره كل من ابراهيم صالح شكر رئيس نقابة الحرفيين وذوي المهن.. والأستاذ عبدالغفور البدري صاحب جريدة الاستقلال، وروفائيل بطي، وعبدالمسيح وزير، وابراهي م حلمي العمر، كما تغنى بأم كلثوم عدد من كبار شعراء العراق منهم معروف الرصافي ومحمد باقر الشبيبي صاحب جريدة الفرات والشيخ جواد الشبيبي وعبدالكريم العلاف وجميل صدقي الزهاوي.

وكانت الصحافة العراقية تنشر أخبار أم كلثوم وحفلات التكريم التي أقيمت لها بعناوين بارزة حيث أطلقت عليها اسماء مثل غادة النيل وبلبلة الروض وأميرة الغناء و ومليكة الغناء و قمرية الروح وهي القصيدة السياسية التي تطرق فيها الشاعر الشيخ جواد الشبيبي الى ما تعانيه الأمة العربية من تفرق وتشتت في حين انها أحوج ما تكون الى جمع الكلمة وتوحيد الصف تجاه اعداء الأمة العربية.. تلك القصيدة التي لم تستطع الصحافة نشرها خشية غلقها من قبل السلطات آنذاك.. لكن مجلة الاعتدال النجفية نشرتها بعد سنوات أي في عام ١٩٣٩, كما أقيم للسيدة أم كلثوم حفل خاص في قصور العائلة المالكة خاص بسيدات القصر الملكي.. ومن بين ما أنشدته:

أكذّب نفسي عنك فيما أرى.. وأفديه ان حفظ الهوى.. وأيها الرائح المجد ..وأماناً أيها القمر.. ولي لذة في ذلتي وخضوعي.. وكلبك صخر جلمود ما حن عليه..

ومن طريف ما يروى عن حفل الأدباء الذي أقيم في سينما سنترال . مقابل حافظ القاضي . ان شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي بعد القاء قصيدته تقدم من السيدة أم كلثوم وقبّلها قبلة أبوية.. صفق لهذا المشهد الجميع بحرارة وضحكت السيدة ملء شدقيها.. وزارت العراق مرة أخرى عام ١٩٥٣ بدعوة من البلاط الملكي عند تتويج الملك فيصل الثاني في مايس عام ١٩٥٣ حتى ان أهالي بغداد ظلوا لساعات متأخرة من الليل يستمعون على الهواء من أجهزة الراديو التي نقلت الحفلة بواسطة سيارة نقل خارجي.. وتبارى أهالي بغداد في تكريم السيدة أم كلثوم حتى ان أحد وجهاء بغداد أقام وليمة غداء لأم كلثوم والوفد المرافق لها على أكلة (شلغم مشوي) حيث تم شي كمية منه في (طمة) حمام حيدر في شارع النهر.. وقد أعجبت به.. ويوجد في مدينة بغداد وحدها الآن عدد من المقاهي تحمل اسم السيدة أم كلثوم تزيّنها صورها النادرة عدا صورها الأخرى التي التقطها لها المصور العراقي السيد جعفر الحسني عند زيارتها الأولى الى بغداد يوم ١٧/ ١١/ ١٩٣٧ وهي تعلق في محال وبيوت عديدة من محبي أغانيها.. ولا ننسى الصحافة العراقية التي كانت تنشر باستمرار الأخبار والتعليقات وصورها أيضاً.

اقدم خياط في بغداد يستعرض ذكرياته على جدار مشغله

منذ اكثر من خمسين عاما، يقوم قادر ناصر صادق اقدم خياط في بغداد، بلصق صور على جدران مشغله في وسط بغداد تروي قصة حياته كما تستعرض تاريخ بلده المضطرب. والصور الملصقة بشكل متقارب والماخوذة من الصحف او من اشخاص تروي لحظات مقتضبة واحداثا كبرى كان الخياط شاهدا عليها.

ويقول العجوز الذي لا يعرف القراءة او الكتابة "انها ذكرياتي" مشيرا باصبعه الى مئات الصور التي غطت مشغله على مر السنين. ولم يتبق مكان في الجدران الزرقاء اللون التي بهت طلاؤها بفعل الزمن للصق مزيد من الصور لتوسيع المجموعة.

لكن قادر قرر انطلاقا من مشغله القابع في شارع ضيق من منطقة الرشيد تحدي العاصفة التي تضرب بلده. ويؤكد الخياط الذي يرتدي صدرية وربطة عنق لصحافي من وكالة فرانس برس "سابقى هنا" وذلك بعد السؤال عما اذا كان يريد الانسحاب من وسط بغداد الغارق في الفوضى.

ويضيف قادر النحيل القوام والاشيب الشعر "لم يتغير شيء في المشغل منذ ان استاجرته العام ١٩٥٧ مقابل خمسة دنانير في الشهر".

وقد اشترى قبل ٣٠ عاما ماكينة خياطة بدلا من آلة "سنجر" القديمة الميكانيكية والمكوى اللذين استخدمهما في بداياته.

لكن الايجار يبلغ حاليا ٣٥ الف دينار (٢٥ دولاراً) في حين انهار كل شيء في الجوار كما فقد شارع الرشيد زمنه الغابر وبريقه.

ويقول قادر بحسرة متطلعا الى المنازل المهجورة والارصفة المليئة بالحطام، ان "هذا السوق كان اجمل شوارع بغداد".

ويغلق التجار ابواب محلاتهم بعد الظهر عائدين الى منازلهم. وقد بدا قادر لصق الصور على جدران مشغله فور استئجاره بحيث باتت اليوم تشكل فسيفساء ضخمة تضم سياسيين ومشاهير وفنانين ومطربين عرب وشخصيات اخرى.

لكن صورته الشخصية تتصدر المكان وكان حينها اسود الشعر عميق النظرات ويرتدي بدلة رمادية وربطة عنق محكمة باتقان ويعلق قائلا كمن يعتذر عن شيخوخته "لقد كنت شابا".

بدا قادر حياته المهنية بصنع بزة عسكرية لابن عمه النقيب في الجيش العام ١٩٥٧ قبل عام من انقلاب العقيد عبد الكريم قاسم على الملكية في تموز/يوليو ١٩٥٨,

ويوضح العجوز "كانت تلك افضل اعوام حياتي بل افضل فترة في العراق" مشيرا الى صورة للزعيم قاسم الذي ما زال العديد من العراقيين يذكرونه بمزيد من الاسى والحزن.

وكان صدام حسين حاول قتل عبد الكريم قاسم في العام ١٩٥٩ في مكان يبعد خطوات قليلة عن مشغل قادر.

ويروي الخياط تفاصيل المحاولة قائلا "سمعت اصوات طلقات نارية وهرعت الى مكان مصدرها فرايت الزعيم قابعا في سيارته وساعدت في نقله الى المستشفى".

وعلى احد جدران المشغل، يبدو الزعيم في احدى الصور محاطا باطبائه مرتديا سترة بيضاء اللون.

وقد لقي قاسم مصرعه بعد اربعة اعوام في انقلاب نفذه عسكريون مهد لاستلام حزب البعث السلطة العام ١٩٦٨,

ويقول قادر انه كان "اكثر ايام حياتي حزنا بالاضافة الى يوم وفاة شقيقتي" علياء التي كانت مطربة ولقيت حتفها في حادث عام ١٩٦٤, ويحتفظ قادر بنصب صغير لتكريمها في احدى زوايا مشغله.

ويؤكد شعوره بعدم المبالاة بعد وفاة شقيقته والزعيم قاسم لكنه استمر بلصق صور النجوم والسياسيين او ما يتعلق باحداث مهمة او لحظات كبرى في حياته.

(تخت رمل) وقراءة الغيب عند البغداديين

اشتهرَ ضرب الرمل في بغداد وكان وسيلة من وسائل الارتزاق، عند البغداديين والتي يتذرع بها بعض الزاعمين باستطلاع الغيب واستجلاء المستقبل. وقد كانوا في بغداد ينتشرون في زوايا وتقاطع شوارع الكرخ لاسيما في منطقة علاوي الحلة حيث يتهافت عليهم سكان الريف وبعض الجنود العسكريين وطائفة من النساء التعيسات اللواتي حطمتهن الايام.. وقد استطاع بعضهم الجلوس في منطقة الميدان في الرصافة او في باب الشيخ.. وهم جميعا كانوا يجلسون في الاماكن الزاخرة بالعابرين، وقد يطول جلوسهم بلا جدوى، وامامهم المناديل المفروشة على الارض وقد نثروا فوقها طبقة سميكة من الرمل.. وحين يكلفون باستطلاع ومعرفة الغيب يرسمون على الرمل باصابعهم خطوطا ونقاطا كيفما اتفق ثم يحصون مارسموا ويقابلون رموزه بمعانيها في كتاب خاص بعلم الرمل يحملونه معهم دائما.

وهناك نوع اخر لقراءة الغيب ومعرفة المستقبل هي "خيرة الدرب" وهي من استخارات المرأة البغدادية وتتلخص على النحو الاتي:

تجلس المرأة في ليلة الجمعة قبل اذان العشاء في مفرق اربع طرق وبعد ان ترمي بكل طريق حجرا وتنوي وتقول: "ياخيرة الدرب انطيني ما بالكلب" ثم تجلس ساكنة الى ان يمر شخصان يتحدثان فيما بينهما.. فتنصت المستخيرة الى حديثهما ثم تفسره فاذا قال أحد المارين لزميله: (اني موافق وروح آتوكل على الله).. وهذا يعني ان الخيرة جيدة حسب اعتقادها لذلك تعود الى بيتها فرحة مسرورة.. أما اذا قال أحد المتحدثين: (اني لا أنزل رأسي ولا أطلب منه شيئا).. فان المستخيرة تعود الى بيتها جزعة يائسة من هذا الفال.

أما البنات (غير المتزوجات) فاستخارتهن غالباً مقصورة على تلهفهن لمعرفة بختهن (حظهن في الزواج) حيث تتناول كل منهن لفة (خبز وبصل في ليلة السبت وتنوي قائلة):

((يا سبت يا سبوت راويني بختي كبل ما موت)).. فانها سترى عادة حلماً في تلك الليلة وتقصه في صباح اليوم التالي الى أمها.. لمعرفة ما سيكون مستقبل ابنتها وخاصة اذا شارفت على الثلاثين من عمرها.. مرددة بين الحين والآخر (خير.. ان شاء الله.. خير) ثم تفسره اذا كان الحلم في مصلحة ابنتها تزداد فرحة وسروراً وآمالا .. أو اذا كان الحلم لا يشير بخير، فانها تقول لأبنتها: روحي احچيه بالطهارة (المرافق) وباعتقادها انه سيفسر ولن يتحقق.

وهذه المعتقدات أصبحت جزءا من مضرب الأمثال في حياتنا اليومية لكونها موروثات أصيلة من واقع الحياة البغدادية في الماضي القريب.